بـدلاً من أن يلجأ سيبـويه إلى وضـع النـداء بعـد التعـريف الشـامـل في قسمـين رئيسيين ثم تفريع هذين القسمين يعمد إلى تقسيم ذلك كله إلى أقسام لا متنـاهية لا ترابط بينها أحياناً.

ومع أنه يلحق بـأبواب النـداء أبواب النـدبة والـترخيم لكن الواضـح أنه لا يعتبر هذين الأمرين جزءاً أساسياً من أجزاء النداء *، والواقع أن النداء عنده يأتي بعد الابتداء ومعمولات «كم» باعتبار هذه القضايا مترابطة.

* إذا كان تقسيم «النداء» إلى «أبواب» منفصلة يظهـر شيئاً من «عجلة» البـداية وعـدم نضجها، فـالواقـع أن «المصطلح» الـذي يرد في الأبـواب يظهـر الأمـر نفسه، فالمنادى المبني لا يسمّى كذلك بل هـو «باب لا يكـون الوصف المفـرد فيه إلا رفعاً»[1]، والمنادى المضاف لا يسمّى كذلك بل هو «اضافة المنـادى إلى نفسك»[2] ويظهر هذا كله عدم استقرار العالم المصطلحي النحـوي في كثير من الأمور أيام سيبويه. وتبقى بعـد هذا كله قضيـة التركيب الـداخلي لـلأبواب، فالمنادى المبني لا يأتي أولاً أو ثانياً بكافة أنواعه، وكذا المنصوب أو المعرب، بل تختلط المسائل وتتجـزأ بحيث لا يمكن معه أحيـاناً اعـادة ترتيبهـا إلا بمقارنتهـا بكتب المتأخرين الذين نضج عندهم المصطلح النحوي والترتيب التركيبي.

لكن ظـاهرة عـدم نضج المصـطلح ليست هي الظاهـرة الوحيـدة بين ظـواهر البداية عند سيبويه، ان طريقته في التأليف والـتركيب، ثم طريقتـه في الترتيب الداخلي للأبواب تظهران مدى صعوبة البدايـة (التنظيميـة على الأقـل في هذا المجال، ففي مجال التأليف والتركيب تنتشر في باب النداء عنـده ـ كما في سـائر الأبـواب ـ ظاهـرة الاعتـماد عـلى السؤال والجـواب وسيلة لإيضـاح مـا يـريـد ايضاحه.

---

(١) سيبويه: الكتاب جـ٢ ص ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٩.